دلالة نقاط الاعجام دراسة تطبليقية على كلمات من القرآن الكريم

د. عبد الغني بن شعبان

جامعة الإخوة منتوري قسنطينة

ملخص بالعربية:

أحاول في هذا المقال دراسة ترقيّ قوة الصوت من خلال غياب أو حضور نقط الإعجام على بعض حروف اللغة العربية بوجودها داخل كلمات متشابهة في بعض آيات القرآن الكريم مع رصد ذلك التشابه الواضح والتقارب في المعنى في عديد الكلمات.

ملخص بالأنقليزية:

In this article I try to study the power of sounds in the presence of points on the Arabic characters to explain some of the similar words in the Quran and mentioned the changes in meanings and significations.

تمهيد:

ترقّي قوّة الصوت من حيث المخرج وعلاقته بالمعنى، ظاهرة خصّها علماء اللّغة العربية بالبحث والدرس الصوتي منذ القديم حيث أشار السّيوطي إليها في كتابه المزهر قائلا "فانْظر إلى بديع مناسبة الألفاظ لمعانيها وكيف فَاوَتَت العربُ في هذه الألفاظ المقْتَرنة المتقاربة في المعاني فجعلت الحرفَ الأضْعف فيها والألْين والأخْفَى والأسْهل والأهْمس لما هو أدْنى وأقلّ وأخفّ عملاً أو صوتاً وجعلت الحرفَ الأقْوى والأشدّ والأظهر والأَجهر لما هو أقوى عملاً وأعظم حسّاً ومن ذلك المدّ والمطّ فإنَّ فعْلَ المطّ أقوى لأنه مدٌّ وزيادةُ جَذْب فناسَب الطاء التي هي أَعْلى من الدال.[1] وألّف ابن جنّي بابا لها في كتابه الخصائص[2] "تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني" تحدّث فيه عن تقارب المعاني لتقارب الألفاظ وقارن فيه بين ألفاظ عدّة مثل حبس الشيء وحمس الشرّ إذا اشتدّ. والتقاؤهما أن الشيئين إذا حبس أحدهما صاحبه تمانعا وتعازّا فكان ذلك كالشرّ يقع بينهما. وأخذت الظاهرة مفهوم الإبدال مع الثعالبي في كتابه فقه اللّغة قائلا "من سنن العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مكان بعض في قولهم: مَدَحَ وَمَدَهَ وَجَدَّ وَجَذَّ وخَرَمَ وخَزَمَ...".[3]

[1] المزهر في علوم اللغة عبد الرحمن جلال الدين السيوطي تحقيق محمد أحمد جاد المولى بك ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي دار التراث القاهرة الطبعة الثالثة ج1 ص53.

[2] الخصائص أبو الفتح عثمان ابن جني تحقيق محمد علي النجار المكتبة العلمية ج2 ص154.

[3] فقه اللغة عبد الملك بن محمد بن اسماعيل أبو المنصور الثعالبي ج1 ص1338.

وأطلق آخرون[1] عليها اسم الاشتقاق الأكبر بما خصّ الألفاظ التي بينها مناسبة ومشاركة واتّفاق في أكثر الحروف مع تقارب ما بقي في المخرج.

فهنالك علاقة بين قوّة الصوت وضعفه بحسب مخرجه وتغير دلالة اللّفظ، فلا يمكن الوصول مثلا إلى المطّ إلاّ بالمرور بعملية المدّ وهذا ما هو موجود فعليا وعمليا فيجب أن نمدّ الشيء قبل مطّه. لكن كيف تتحدّد قوّة الصوت؟

ترجع قوة الصوت وضعفه بالدرجة الأولى إلى المتلقي بحاسة سمعه بالأذن وبحساب منطقي رياضي فالصوت الأقرب من حيث المخرج إلى الشفتين هو الأقوى لأنّه الأقرب مسافة إلى الأذن والسمع. وبمقارنة صوتية بين صوتين في اللّغة العربية وهما (العين والميم) مثلا يظهر مخرج الميم الشّفوي أقرب مسافة إلى الأذن من العين الحلقية، وبذلك فالميم هي الأقوى بمراعاة الحفاظ على نسبة إخراج صوتية واحدة أو استطالة صوت مثلما يسميها ابن جني[2] حيث تكون شدّتها ثابتة ولا متغيّرة مع الصوتين.

أمّا الهدف الرّئيس من هذا البحث فهو التركيز على الأصوات أو بالأحرى الأحرف التي لا تختلف كثيرا من ناحية الخط إلاّ في زيادة نقاط على أحد الحرفين[3] ليتغيّر الصوت كما هو الحال مثلا بين(د/ذ)(ج/ح/خ)(ر/ز)(ع/غ)(س/ش)(ص/ض).. وغيرها. مع استغلال التغيّرات الصوتية لشرح بعض الكلمات المتقاربة من ناحية الكتابة داخل سياق لغوي محدّد وهو آيات القرآن الكريم. ومن الملاحظات الأوّلية هنالك من الألفاظ ما يزداد معناه بين وجود النقطة أو عدمها. وهنالك ما يتحوّل إلى المعنى العكسي.

ما المقصود بالإعجام؟

الإعجام لغة ينحدر من التركيب الصوتي الثلاثي للعين والجيم والميم (عجم) ويحمل في دلالته مثلما جاء في مقاييس اللغة لابن فارس[4] مفاهيم ثلاثة: السكوت والصمت. الصلابة والشدّة. العض

---

[1] ينظر دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون القاضي عبد رب النبي بن عبد رب الرسول الأحمد نكري تحقيق حسن هاني فحص دار الكتب العلمية لبنان الطبعة الأولى 2000م ج1 ص83. وينظر كذلك النحاة والقياس صلا ح الدين الزعبلاوي مجلة التراث العربي مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب دمشق العدد 32 السنة 8 يوليو 1988 ص551.

[2] ينظر سر صناعة الإعراب أبو الفتح عثمان ابن جني تحقيق د. حسن هنداوي ج1 ص6.

[3] يسمى نقط الحروف الإعجام ينظر النحاة والقياس صلاح الدين الزعبلاوي مجلة التراث العربي العدد32 السنة8 دمشق 1988م/1408هـ ص7.

[4] ينظر معجم مقاييس اللغة أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا تحقيق عبد السلام محمد هارون دار الفكر 1399هـ 1979م ج4 ص239.

والمذاقة. ومن ثمّة فمن مفاهيم الشق الأوّل السكوت والصمت جاء عدم الإبانة وعدم الإفصاح والكلام غير المفهوم وجاء تسمية الأعجم لكل كلام لا يدل على شيء أو الكلام غير العربي.

أما اصطلاحا فالإعجام من العجم وهو نقط الحروف بالسواد[1] ويختصّ بالحروف المتقاربة في الشكل مثل الباء والتاء والثاء فالتفريق بينها يكون بوضع نقاط تحتيا وفوقيا لتمييزها فتجد نقطة تحت الباء ونقطتن فوق التاء وثلاث نقاط فوق الثاء والأمر نفسه مع الحاء والجيم والخاء والحروف الأخرى المتشابهة. وقد بني المصطلح على (أعجمت) الحرف أو الكتاب بإضافة الهمزة في أول المصطلح بمعنى أزلت عجمته وغموضه والهمزة المضافة في أعجمت تسمى همزة السلب[2] أي سلبت عجمة الحرف أو الكتاب فأصبح مفهومه ظاهرا غير غامض.

زيادة المعنى بنقاط الاعجـام:

التعبير عن العودة والعودة بغرض الحماية (عاد/عاذ):

يوجد تقارب واضح بين حرفين متشابهين كتابة ويفرّق بينهما بنقطة الإعجام وهما (الدّال والذال) في لفظي (العود/العوذ)، (عاد/عاذ). حيث يمكن تفسير معنى العوذ انطلاقا من العود، فالاختلاف بين الحرفين النقطة فوق (الذّال). أمّا صوتيا فالدال حسب الخليل[3] نطعية مخرجها نطع الغار الأعلى والذال لثوية مخرجها اللثة. وبتفصيل أكثر عند سيبويه[4] مخرج (الدّال) طرف اللّسان أصول الثنايا و(الذّال) طرف اللّسان أطراف الثنايا. فالصوتان متقاربان من حيث مخرجهما بانتمائهما إلى حيز واحد. لكن (الدال) أسبق مخرجا من (الذال) فـ(الذال) أقوى من (الدّال) لأنّها أقرب إلى الشفة والأذن وقد يلحق هذه الزيادة في القوّة زيادة في المعنى.

وسنطبق ما قيل على اللّفظين من خلال استعمالهما في سياقات لغوية مختلفة مثل استعمال(عاذ) في قول لبيد:[5]

(والعينُ عـــاكِفةٌ على أطْلائِها ** عُوذاً تَأجَّلُ بالفضَاءِ بِهَامُها)

---

[1] ينظر كتاب الكليات أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري مؤسسة الرسالة بيروت 1419هـ 1998م ص213.

[2] ينظر اللمحة في شرح الملحة محمد بن الحسن الصايغ تحقيق إبراهيم سالم الصاعدي عمادة البحث العلمي بالجامعة الاسلامية المدينة المنورة السعودية الطبعة الأولى 1424هـ 2004م ج1 ص33.

[3] العين الخليل بن أحمد الفراهيدي تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرّائي سلسلة المعاجم والفهارس ج1 ص57، 58.

[4] الكتاب سيبويه تحقيق وشرح عبد السلام هارون مكتبة الخانجي ج4 ص433.

[5] ديوان لبيد بن ربيعة العامري لبيد بن ربيعة بن مالك أبو عقيل العامري ص98.

فالعوذ مثلما شرحت[1] هي حديثات النتاج أو حديثات الولادة. لكن لماذا سميت حديثات الولادة عوذا؟

بالرجوع إلى استعمالات اللّفظ (عاذ) في القرآن الكريم فهو على صيغة (أعوذ) وتكرّرت سبع مرات في قوله تعالى:

1 - **{وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُواْ بَقَرَةً قَالُواْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ}**.[2]

2 - **{قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ}**.[3]

3 - **{قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّاً}**.[4]

4-**{وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ *وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ}**.[5]

6 - **{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ}**.[6]

7 - **{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ}**.[7]

فالعوذ في هذه الآيات كلّها لا يكون إلاّ بالله بالعودة إليه والاستعانة به لغرض الحماية (حمايتنا من أن نكون من الجاهلين، من التساؤل بغير علم أو من همزات الشيطان).

وذكرت (معاذ) واستعملت بهذه الصياغة في قصة سيّدنا يوسف عليه السلام في قوله تعالى:

1-**{وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ}**.[8]

2-**{قَالَ مَعَاذَ اللّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذاً لَّظَالِمُونَ}**.[9]

---

[1] شرح المعلقات السبع القاضي أبي عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني تقديم عبد الرحمن المصطاوي دار المعرفة لبنان الطبعة الثانية 1425هـ 2004م ص131. المعلقات العشر وأخبار قائليها أحمد بن الأمين الشنقيطي مكتبة الخانجي القاهرة الطبعة الثالثة 1413هـ 1993م ص20.

[2] البقرة67.

[3] هود47.

[4] مريم 18.

[5] المؤمنون97+98.

[6] الفلق1.

[7] الناس1.

[8] يوسف23.

[9] يوسف79.

ففي الآية الأولى عاد إلى الله مستعينا به ليبعده عن فعل هو من صنيع الشيطان. وانجاه الله **{وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ}**.[1]

ثمّ ذكرت مرّة واحدة (يعوذون) في قوله تعالى: **{وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً}**.[2] أي يلجؤون إليهم أو يعودون إليهم لغرض معيّن أرادوا من خلاله قضاء حاجاتهم بمفهوم الاستعانة.

إذن فالعلاقة التي تربط عاد/عاذ هي شكلية صوتية ومعنوية حيث لا يمكن الوصول إلى العوذ إلاّ مرورا بالعود لأنّ العوذ هو عود لأغراض منها الاستعانة والحماية والقيام على الأمور، ولذلك أطلق اسم التعويذة على كلّ "ما يعلق على الكتف ونحوه، أو ما يتلى على الانسان، للتحصن من العين أو السحر أو نحو ذلك".[3] وسمّيت حديثات الولادة المذكورة في الأبيات الشعرية عوذا لأنّها ما زالت تعود إلى أمّهاتها لغرض إطعامها وحمايتها.

التعبير عن الاختلاط التام وعن التلاقي باختلاط آني مضطرب (مزج/مرج):

هي ميزة أخرى لترقي قوة الصوت وزيادة المعنى مع الاختلاف بين الصوتين كتابة بنقطة الإعجام، تظهر في كلمتين متقاربتين في خط الكتابة والفرق بينهما في إبدال صوتي (الزاي والراء) والكلمتان هما (مرج ومزج) فالاختلاف كتابة يكمن في زيادة نقطة على الراء لتصبح زايا. أما صوتيا بحسب الخليل (الرّاء) ذلقية ذلق اللّسان و(الزّاي) أسلية أسلة اللّسان مستدق طرف اللّسان.[4] أمّا سيبويه فـ(الرّاء) أدخل في ظهر اللّسان أميل إلى اللاّم بينما (الزّاي) فمن طرف اللّسان فويق الثنايا.[5] وبالتصنيفين الصوتان يقعان في حيّز مخرج متقارب جدا وهو اللّسان. و(الزّاي) أقرب إلى الشفة فهي بذلك أقوى من (الرّاء).

وأصل التركيب (مرج) بحسب ابن فارس[6] صحيح يدلُّ على المجيءِ والذَهابِ والاضطراب وقياس البابِ كلِّه منه. واستعملت الكلمة في القرآن الكريم في مواقع عدّة وبتصاريف وصياغات وسياقات مختلفة ومن هذه الاستعمالات ما جاء في قوله تعالى: **{وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ**

---

[1] يوسف 24.

[2] الجن6.

[3] معجم لغة الفقهاء ج1 ص137.

[4] العين ج1 ص57و58.

[5] الكتاب ج4 ص433.

[6] ينظر معجم مقاييس اللغة أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا تحقيق عبد السلام هارون دار الفكر 1979م ج5 ص315.

أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا}.[1] فهنالك علاقة واضحة بين (الرّاء والزّاي) في كلمتين هما (مرج وحجرا محجورا) فلو قرأت على صوت الزّاي كانت (مزج وحجزا محجوزا). والآية هي تعبير عن التقاء بحرين ماؤهما بطعمين مختلفين ماء معتدل الأملاح عبّر عنه بالعذب الفرات وآخر على النقيض منه أي شديد الملوحة. والشيء المعجز إنّ هذين البحرين لا يختلطان ولا يمتزجان إلاّ آنيا وذلك ما ذهب إليه الخليل[2] لأنّ بينها فاصلا وصف بالبرزخ وهو الفاصل الذي لا يدرك بالحواس أو مثلما وصفه صاحب تهذيب اللغة[3] بالحاجز الخفي وقد وصف بالحجر المحجور وهو عند غالبية اللّغويين يدل على المنع والتحريم.[4] وبذلك فالفرق بين الحجر والحجز المتقاربين في خط الكتابة كون الحجر في هذا التركيب يدل على الحجز والمنع الآني المؤقت، حيث يمكن اختلاط الماء العذب مع الماء المالح آنيا لفترة محدّدة يتحكّم فيها توفر ظروف معينة كعملية التحريك أو الرجّ وذلك بالرّياح مثلا أو أي شيء له مفعول التحريك والاضطراب والهزّ. وبزوال تلك الظروف يعود الحال على ما كان عليه قبل الرجّ ويتمايز بذلك الماء العذب عن المالح ويعود الوضع إلى حالته الطبيعية. والظاهرة تشبه ذلك التمايز الحادث بخلط الماء والزيت حيث يختلطان بالرج ثمّ يتمايزان والسبب فيزيائي[5] راجع إلى كثافة كلّ سائل. والأمر نفسه مع الماء المالح والعذب حيث يختلفان في الكثافة التي مردّها إلى نسبة الأملاح.

ويمكن أن يتحدّد معنى الالتقاء مع اختلاط آني جزئي من خلال الجذر (مرج) في كلمات أخرى تتصرّف عن هذا الجذر ومذكورة في بعض آيات القرآن الكريم مثل كلمة (مريج) على وزن (فعيل) في قوله تعالى: **{بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ}**.[6] وقد ذهب ابن سيده إلى أنّ المرِج معناه الالتباس والاختلاط والفساد. حيث أنّ الرجل المِمْراج هو الذي لا يحكم أمورَه فتختلط عليه وتفسد.[7]

---

[1] الفرقان53.

[2] ينظر العين ج6 ص120.

[3] ينظر تهذيب اللغة أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري تحقيق محمد عوض مرعب دار إحياء التراث العربي الطبعة الأولى بيروت 2001م ج7 ص270.

[4] المصدر نفسه ج4 ص82.

[5] أقيمت دراسة علمية إعجازية بعنوان (أسرار البرزخ المائي بين الماء العذب والماء المالح) بقلم الباحث المهندس عبد الدايم الكحيل وقد فصل الباحث فيها كل ما له علاقة بالموضوع. الدراسة منشورة في موقع الباحث الإلكتروني www.kheel7.com.

[6] ق5.

[7] ينظر المخصص أبو الحسن علي بن اسماعيل ابن سيدة تحقيق: خليل إبراهيم جفال دار إحياء التراث العربي الطبعة الأولى بيروت 1996م ج3 ص363_476.

فالمريج بسياق الآية صفة تدل على الحال التي كان عليها أمرهم وتعبير عن التقاء واختلاط جزئي وآني والتباس وفساد رأيهم. فساد في الرأي لأنّهم كذّبوا بالحق وصلاحه التصديق. والتباس في تحديد سبب التكذيب فهم يلتقون على الموضوع العام وهو التكذيب بالحق لما جاءهم ثمّ يتفرّقون في تقديم سبب واحد متّفق عليه في تكذيبهم فكلّ واحد منهم له حججه وأدلته الواهية في تكذيبه. أي يلتقون على التكذيب عموما لكن لا يمتزجون ويتفرّقون في أدلّتهم الفردية فهم كمن يتفقون على أمر معين لكن إذا سئلوا عن سبب التقائهم تجدهم يتفرّقون في الدليل.

وجاء اللّفظ بصياغة أخرى على وزن (فاعل) في كلمة (مارج) بقوله تعالى: **{وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ}**.[1] ولم يستقر المفسّرون على تصوّر واحد لمصطلح (مارج) الوارد في هذه الآية بل تصوّرات عدّة ومختلفة من بينها أنّ المارج النّار الشديدة التي لا دخان لها.[2] أو اللّهب المختلط بسواد النار.[3] وألبسها بعضهم مفهوم القطعة المشتعلة من النار.[4] وذهب جمع آخر إلى مفهوم الاختلاط أي أخلاط من النار نوعان من النار.[5] وسار آخرون على معنى الصفاء وتعدّد الألوان أي النار الصافية متعدّدة الألوان من لهب أصفر إلى أحمر إلى مشوب بالخضرة، فالجانّ من أنواع من اللهب مختلطات.[6]

وبسياق الآية (مارج) إشارة إلى طبيعة المادة التي خلق منها الجان فهي ليست نار بل مارج منها. وبمعناه تعبير عن مفهوم الالتقاء والتداخل باختلاط نسبي للونين يخصّان النار وهما الأسود والأحمر حيث تكون الطبقة العليا سوداء تدل على الانخماد والطبقة السفلى حمراء دلالة على الاشتعال، وهي نار آيلة إلى الانخماد بغلبة اللون الأسود ظاهريا ويبدو الأحمر باهتا أسفل منه. وهي نار لا يدرك خطرها وهي حال الجان.

---

[1] الرحمن15.

[2] شرح مقدّمة القيرواني الشيخ أحمد النقيب ج3 ص14.

[3] أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة تأليف نخبة من العلماء وزارة الشؤون الدينية السعودية الطبعة الأولى ص123. أصول الإيمان محمد بن عبد الوهب تحقيق باسم فيصل الجوابرة وزارة الشؤون الإسلامية السعودية الطبعة الأولى ص116.

[4] سلسلة الأسماء والصفات محمد الحسن الشنقيطي دروس صوتية الدرس 17/10.

[5] ينظر التبيان في تفسير غريب القرآن شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري تحقيق د. فتحي أنور الدابولي دار الصحابة للتراث بطنطا القاهرة الطبعة الأولى 1992م ص401. صراع مع الملاحدة حتى العظم عبد الرحمن حسن الميداني دار القلم دمشق 310.

[6] ينظر إعراب القرآن أبو أحمد بن محمد بن اسماعيل النحاس تحقيق د. زهير غازي زاهد عالم الكتب بيروت 1988م/1409هـ ج4 ص306. وتفسير المراغي أحمد مصطفى المراغي شركة البابي الحلبي مصر ج12 ص112. وتفسير مجاهد أبو الحجاج ص423.

ثمّ يأتي الاستعمال بصياغة أخرى في كلمة "مرجان" التي تكرّر ذكرها في آيتين من سورة الرحمن في قوله تعالى: **{يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ}**.[1] وفي قوله تعالى: **{كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ}**.[2] فالمرجان من (مرج) وبنيت على الصيغة الصرفية (فعلان) وهي صيغة مبالغة وتكثير تمثّل الحدوث والتجدّد والامتلاء وتدلّ على الاتصاف بالوصف إلى حدّه الأقصى وتقع من أحوال غالبا ما تشير إلى الامتلاء التام أو الفراغ التام مثلما هو الحال مع ملآن أو فرغان وتشير إلى المثنى مثل شعبان وقومان.[3] وهي هنا تحتمل الحالتين أي الدّلالة على المثنى حيث يلاحظ على المرجان شكله النباتي مع كونه ذا طبيعة حيوانية يلتقيان في جسد واحد ولا يختلطان ولا يمكن التفريق بين الحيوانية من النباتية. فهي من حيث التركيب الخلوي بخلايا حيوانية، لكن من حيث طريقة العيش تشبه كثيرا النبات لتجذّره في مناطق دون تنقل. فهو حيوان بمظهر نبات. كما يمكن أن تدل على الفراغ التام حيث يعتبر المرجان من اللافقاريات مع وجود تجاويف في بنيته.[4]

الانتقال إلى المعنى العكسي

التعبير عن الحركة والحياة وعن السكون والموت (الحدث/الجدث)

الانعكاس والتضاد يتحدّد بين لفظين هما (الحدث/الجدث) فالحدث من الكلمات المألوفة في اللّغة العربية لكن مصطلح (الجدث) يبدو غريبا وقد ورد بصيغة الجمع (الأجداث) في آيات ثلاث من القرآن الكريم بقوله تعالى:

{خُشَّعاً أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ}.[5] صفتهم بعد بعثهم

{يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعاً كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ}.[6] وجهتهم دافعهم

{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ}.[7] حال وكيفية بعثهم.

---

[1] الرحمن22.

[2] الرحمن58.

[3] ينظر لمسات بيانية لسور القرآن الكريم فاضل صالح السامرائي دار عمار عمان الأردن الطبعة الثالثة 1423هـ/2003م ص 13. وينظر همع الهوامع في شرح جمع الجوامع جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي تحقيق عبد الحميد هنداوي المكتبة التوقيفية مصر ج3 ص327. وينظر الكليات أبو البقاء أيوب بن موسى تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري مؤسسة الرسالة بيروت لبنان 1419هـ/ 1998م ص592.

[4] ينظر الخصائص العامة للمرجان الموقع الالكتروني linternaute.com.

[5] القمر7.

[6] المعارج43.

[7] يس51.

فالآيات فيها ذكر لمصطلح مشترك (الأجداث) وإجابات لمجموعة من الأسئلة مفادها كيف تكون حال الموتى بعد عملية النفخ في الصور؟ وكيف يكون خروجهم من باطن الأرض؟ ما هي وجهتهم؟ وما هي الصفة العامة التي يكونون عليها؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة استعملت مجموعة من المصطلحات والعبارات الدّالة على مفاهيم محدّدة بدقّة. فلماذا هذا الاستعمال وما الغرض الدّلالي منه كلفظ ينسلون للدّلالة على الخروج؟ ولماذا استعمل الأجداث للدلالة على القبر؟ ما هي العلاقة التي تربط بين السرعة والخروج والنسل؟ ولماذا جاء تركيب الأجداث مع ينسلون في سورة المعارج؟ مع التركيز على مصطلح الأجداث.

انطلاقا من مجموع هذه الأسئلة يمكن القول بأنّ التعبير في سورة المعارج عن باطن الأرض كان بمصطلح (الأجداث) ولم يقل القبور. وعبّر عن طريقة الخروج بينسلون وليس يخرجون. وفي ذلك دقّة لا متناهية في التعبير عن الصورة العامة لإعادة الإحياء والبعث. وبالرجوع إلى التفاسير المتعددة فهي تركّز على مفهوم القبر بالأجداث ومفهوم السرعة بينسلون.[1] أي أنهم يخرجون من قبورهم مسرعين. وقد ردّ الدكتور

[1] ينظر الدر المنثور في التفسير بالمأثور عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي دار هجر مصر 1424هـ/2003/ ج10 ص359. تفسير مقاتل أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي تحقيق: أحمد فريد دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى لبنان بيروت 1424 هـ/2003 م ج3 ص89. تفسير الثوري أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي تحقيق إمتياز علي عرشي دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الاولى 1403 هـ 1983 م ج1ص253. تفسير الطبري جامع البيان في تفسير القرآن أبو جعفر محمد بن جرير الطبري دار هجر الطبعة الأولى ج19 ص454. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير محمد بن علي بن محمد الشوكاني ج6 ص170. الكشف والبيان عن تفسير القرآن أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبى النيسابورى دار إحياء التراث العربي بيروت 1422 هـ ج8 ص130. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشرى دار الكتاب العربي بيروت 1407 هـ ج4 ص20. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الآلوسي تحقيق على عبد البارى عطية دار الكتب العلمية بيروت 1415 هـ ج12 ص31. معاني القرآن أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي تحقيق محمد علي الصابوني جامعة أم القرى مكة المكرمة الطبعة الأولى 109 ج2 ص151. بيان المعاني ملا حويش آل غازى عبد القادر مطبعة الترقى دمشق 1382 هـ ج1 ص283. تفسير الثعالبي الجواهر الحسان في تفسير القرآن أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ج3 ص268. تفسير الجلالين جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ج8 ص267. التبيان في تفسير غريب القرآن شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري تحقيق د.فتحي أنور الدابولي دار الصحابة للتراث بطنطا القاهرة الطبعة الأولى 1992م ج1 ص349. غريب القرآن أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري تحقيق أحمد صقر دار الكتب العلمية 1398 هـ / 1978 م 1ج ص366.

فاضل صالح السامرّائي[1] ذلك إلى طبيعة تركيب اللفظ "جدث" ومعانيه في اللّغة العربية معتمدا في ذلك على اقترابه من لفظ (الجدثة) وهو صوت الحافر والخف ومضغ اللّحم. ومن ثمّة فصوت خروج الموتى من الأجداث مسرعين شبيه بصوت الحافر والخف عند السير والعدو، وقد خصّ استعمال الأجداث بحالة الخروج من القبور مسرعين إلى الحشر.

كما رأى الدكتور السامرّائي من خلال استعمالات الكلمة في القرآن الكريم في سورتي القمر والمعارج أنّها لم تستعمل في حالة السّكون بخلاف لفظة القبور فإنّه استعملها في حال السّكون والهمود.. وفيها دلالة جمالية أخرى: ذلك أنّ من معنى (الجدثة) كما ذكر من قبل مضغ اللحم، فكأنّ المعنى؛ إنّما يخرجون بعدما أكلتهم الأرض ومضغت لحومهم.

لكن إذا ما درس الموضوع من وجهة نظر صوتية تظهر معطيات معاكسة تماما لما رأى السامرائي فكلمة (جدث) تحتمل التعبير عن مفهوم السكون وليس عن الحركة. وبعملية إبداليه تحويلية بين صوتي (الحاء/الجيم) يلاحظ التقارب بين (جدث/حدث) (الاجداث/الاحداث). وصوتيا الحاء مخرجها بحسب الخليل حلقية والجيم شجرية من شجر الفم مفرجه.[2] أمّا عند سيبويه الحاء حلقية في وسط الحلق والجيم وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى.[3] فالصوتان من حيث المخرج متباعدان ولا ينتميان إلى حيّز واحد. ويستمر ذلك التباعد الصوتي حتى من حيث الجهر والهمس فالحاء مهموسة والجيم مجهورة.[4]

وللجذر الثلاثي (ج د ث) أصول في لغات أخرى فهو في العبرية (جَادَشْ) وفي السريانية (جْدَشْ) بمعنى: كَوَّمَ.[5] والتكوّم يعبّر عن السكون لأنّ من كان تحت الكومة لا يمكنه الحركة.

ومن ثمّة فالآية تعبير واضح عن تحوّل من السّكون إلى الحركة، ومن الموت إلى الحياة. فـ(الأجداث) إذا ما جرّدت الجيم فيها من النقطة ستصبح (الأحداث)، ويمكن القول بأنّ ولادة إنسان حدث وموته حدث وكلّ ما يقوم به من ولادته حتى موته يعتبر أحداثا وهي تعبير عن الحركية والتفاعل اليومي؛ أي تعبير عن الحركة. بينما موت الإنسان جمود وسكون تام ولا حركة وبذلك عبّر عن المرحلة التي يقضيها الإنسان من موته حتى بعثه بكلمة الأجداث ومعناها السكون التام بعد الموت وبذلك يتقاطع مع مفهوم التكوّم.

---

[1] ينظر أسئلة بيانية في القرآن الكريم الدكتور فاضل صالح السامرّائي مكتبة الصحابة الشارقة الامارات الطبعة الأولى 2008م ص154.

[2] العين ج1 ص57و58.

[3] الكتاب ج4 ص433.

[4] الكتاب ج4 ص434.

[5] بحوث ودراسات في اللهجات العربية من اصدارات مجمع اللغة العربية تأليف نخبة من العلماء ج4 ص16.

إذن تتحدّد العلاقة بين الحدث والجدث بالتضاد حيث يعبر عن الفعل، الحركية، الوجود، الحيوية والتفاعل اليومي للإنسان الذي يجسّد حضوره ووجوده ومن ثمّة التغير بـ(الأحداث) وهو ما يشير إليه المعنى اللّغوي لـ(حدث) أي التجدد.[1] بينما يعبر عن غياب الإنسان بموته ومكان استقراره بـ(الأجداث) وهو لفظ يشير إلى السكون التام وانعدام الفعل والحركة.

ويدعّم القول بأنّ الجدث هو تعبير عن السّكون وانتقال من بعده إلى الحركة علاقته بـ"ينسلون" فهو تركيب يراد به التعبير عن الطريقة التي يمر بها الإنسان من حالة الجمود (الجدث) إلى الحركة (الحدث). ومن خلال حرفي (من) و(إلى) {مِّنَ الْأَجْدَاثِ} {إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ} فالحرفان يعبّران عن المنطلق والمآل أو عن ابتداء الغاية وانتهائها.[2] وثمّة تعبير عن طريقة خروج الإنسان من باطن الأرض إلى سطحها. فمصطلح ينسلون يستعمل عادة للتعبير عن الانفصال الذي لا يترك وراءه أثرا كَّنسْل الوَلَدُ لكونِهِ نَاسِلاً عن أبيهِ.[3] وقد يحتمل كذلك مفهوم السَّلُّ أي انتزاعُ الشيء وإخراجُه من مضيق أو زحام في رِفْق.[4] ومن ثمّة فخروج الإنسان من جدثه بباطن الأرض بتكوّمه في ضيق وزحام بعد بعثه، يتم وكأنّه انفصال عن هذه الأرض وخروج منها برفق دون ترك أثر عليها. عكس ما يلاحظ يوم دفنهم من آثار حفرٍ وتغطيةٍ. والامر نفسه بالنسبة للولد ربّما سمّي بذلك لانفصاله أوّ خروجه من والدين دون أن يترك أثرا جسديا فيهما فلا تغيّر بعد الولادة كنقصان الجسد مثلا أو جزء منه.

السراب على التخيل والشراب على الحقيقة:

التضاد موجود كذلك مع كلمة أخرى ذكرت في القرآن الكريم وهي كلمة (سراب) في قوله تعالى: **{وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ}**.[5]

فالتقارب واضح بين كلمتي (سراب/شراب) حيث لا يختلفان إلاّ في النقاط الثلاث، وصوتيا بحسب الخليل (الشين) شجرية شجر الفم مفرجه، و(السين) أسلية أسلة اللسان مستدق طرف اللسان.[6] وسيبويه (الشين) وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى (السين) طرف اللسان فويق الثنايا.[7]

---

[1] لسان العرب مادة حدث ج2 ص131.

[2] ينظر معاني النحو الدكتور فاضل صالح السامرّائي شركة العاتك القاهرة الطبعة الثانية ج3 ص14، 65.

[3] ينظر المعجم الوسيط مادة النون ج2 ص919.

[4] ينظر لسان العرب مادة سلل ج11 ص338.

[5] النور39.

[6] العين ج1 ص57.

[7] الكتاب ج4 ص433.

فالصوتان بحسب التصنيفين ينتميان إلى حيّز إخراج صوتي متقارب وهو اللسان.

ومعجميا يحتمل لفظ سرب معان عدّة منها الذّهَابُ والمضي والانحدار والسيلان والخروج والجريان والاتساع والارسال المتقطّع جزءا جزءا.[1] أما اصطلاحا فيطلق السراب للدلالة على ما يرى نصف النهار كأنّه ماء من اشتداد الحر.[2]

والقيعة: بمعنى القاع أو جمع قاع، وهو المنبسط المستوى من الأرض[3]

وعلميا السّراب ظاهرة انعكاس ضوئي نتيجة مروره في وسطين يتغاير فيهما الهواء بين البارد والساخن مع تغير الارتفاع والانخفاض.[4] ويحدث مثلا في الطرقات على الاسفلت وبالتأمّل الجيّد تجد بأنّ المكان الذي حدث به منخفض لضغط السيارات المستمر مع وجود الماء بباطن تلك الأرض. وكما هو ملاحظ من سياق الآية فالسراب لا يكون إلا بالقيعة وهي جمع قاع أي المكان المنخفض ولا ينخفض ذلك المكان إلاّ بوجود الماء في باطنه ومن ثمّة تتم عملية التبخر في ذلك المكان المنخفض بوجود الحرارة فيتصور الإنسان ذلك البخار ماء بانعكاس السماء فهو كمن يتوهّم وجود الماء. ومن ثمّة فالسراب هو شبيه الماء أو المرحلة التي تسبق تشكّل الماء لمّا يكون بخارا بفعل الحرارة أو مثلما قيل "السَّرَابُ فيما لا حَقيقَةَ لَهُ كالشّرَابِ فيمَا لَهُ حَقيقَةٌ".[5]

التعبير عن السعادة وعن الحزن الشديد

---

[1] ينظر الموسوعة القرآنية إبراهيم الأبياري مؤسسة سجل العرب 1405هـ ص3366. المحكم والمحيط الأعظم أبو الحسن بن اسماعيل بن سيدة المرسي تحقيق عبد الحميد هنداوي دار الكتب العلمية بيروت 2000م مادة سرب ج8 ص486. تاج العروس من جواهر القاموس محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي مجموعة من المحققين دار الهداية مادة سرب ج3 ص52. تهذيب اللغة أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري تحقيق محمد عوض مرعب دار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة الأولى مادة سرب ج12 ص287. معجم مقاييس اللغة أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا تحقيق عبد السلام هارون دار الفكر 1399هـ/1979م مادة سرب ج3 ص155. العامي والفصيح من إصدارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة ج12 ص3.

[2] ينظر المجم الوسيط إبراهيم مصطفى/أحمد الزيات/حامد عبد القادر/محمد النجار تحقيق مجمع اللغة العربية دار الدعوة مادة سرب ج1 ص425. وينظر القاموس المحيط محمد بن يعقوب الفيروزآبادي مادة سرب ص124.

[3] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأليف جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري دار الكتاب العربي بيروت 1407هـ ج3 ص243.

[4] ينظر الموقع الالكتروني. OPHTASURF, le site sur l'ophtalmologie (les mirages). وينظر الإعجاز البيان في القرآن الكريم جمع وإعداد علي بن نايف الشحود ص167.

[5] المفردات في غريب القرآن الراغب الاصفهاني تحقيق صفوان عدنان داودي دار العلم . الدار الشامية دمشق/بيروت 1412هـ ص406.

ومع الحرفين نفسهما (الشين) و(السين) تظهر العلاقة بين مصطلحين جاء ذكرهما وهما (باسرة) في قوله تعالى: **{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ* إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ* تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ}**.[1] و(مستبشرة) في قوله تعالى **{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ* ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ* وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ* تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ}**.[2]

والملاحظ من سياق الآيتين إن العلاقة بين المصطلحين هي علاقة عكسية فالوجوه الباسرة هي تعبير عكسي للوجوه المستبشرة. ومن ثمّة تتضح العلاقة بين (باسرة) وهي تعبير للوجه عن الحزن و(باشرة) عكسه تعبير للوجه عن السعادة. فالصفتان لهما ارتباط مباشر حسب السياقين بالوجه.

ومن خلال كل ما ورد نلاحظ بأنّ نقاط الإعجام لها دور في زيادة المعنى وهذا لا يتعارض مع الملاحظة القائلة بأنّ زيادة المباني معناه زيادة المعاني.

[1] القيامة 24/23/22.

[2] عبس39/38